

البيئة المحيطة وأثرها على الداعية في العصر الحاضر



د. مسعود بن حسن بن مسعود آل عيسى (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ^(١).
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ^(٢).
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ^(٣).

(١) سورة آل عمران : آية : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء : آية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب : الآيتان ٧٠-٧١ .

وبعد^(١) ..

فإن للبيئة المحيطة أثراً واضحاً على الدعوة الإسلامية انتشاراً وانكماشاً وسعة وضيقاً مثلما حدث مع رُسل الله الذين واجهوا. ييثاقهم بكل ما فيها من أمراض وعلل اجتماعية اعترضت مسيرات دعوتهم حيث قاموا عليهم الصلاة والسلام بمعالجة تلك البيئات، وقد عرض القرآن الكريم ذلك أثناء حديثه عن دعوة الرسل؛ لذا ظهر أثر البيئة المحيطة، وظهرت أهميتها للدعوة في كل زمان ومكان، ففي دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كان أثر البيئة المحيطة إيجابياً على الدعوة في المدينة النبوية، وذلك خلافاً. وفي هذا البحث الموجز سوف أبين - بإذن الله- أثر البيئة المحيطة على الداعية في العصر الحاضر، وذلك ببيان أثر أفراد الأسرة، وأفراد المجتمع المحلي على الداعية^(٢)، وقد اقتضى ذلك أن يكون البحث في تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة. أما المراجع فسي هوامش البحث كل في موضعه.

وبالله التوفيق،

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، ج ١، ص ٣٩٢، ح ٣٧٢٠، وحققه شبيب الأرنؤوط . وأبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، دار الحديث، بيروت، ط ١، ١٣٨٩ هـ، ج ٢، ص ٣٩٩، ح ٢١١٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص ٥٩١، ح ٢١١٨. انظر خطبة الحاجة التي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمها أصحابه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٧ هـ، ص ١٠، وقد جمع فيها المؤلف الروايات الصحيحة وهي موافقة لما كتبه أعلاه .

(٢) باعتبارها إحدى مكونات البيئة المحيطة التي أوردها علماء الاجتماع والتربية:

١- يقول د. عمر أحمد همشري: وتشمل البيئة المؤسسات الاجتماعية على اختلافها، كالأسرة، ودور العبادة، والإدارات الحكومية. مدخل إلى التربية، د. عمر أحمد همشري، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ص ١٨١.

٢- يقول د. جابر عوض سيد و د. حاتم عبد النعم أحمد: إن مكونات البيئة هي أشخاص وجماعات ومجتمعات متفاعلة . انظر: البيئة والتنمية والخدمة الاجتماعية، د. عوض سيد، د. حاتم أحمد، دار المعرفة الجامعية، مصر، بدون رقم طبعة، ١٩٩٤ م، ص ٢٢.

٣- يقول د. عبد الله الرشدان، د. نعيم جعيني: إن البيئة الاجتماعية تشمل المؤسسات الاجتماعية المختلفة، والجماعات المختلفة، والجماعات والتجمعات والميئات والمشاريع المختلفة انظر المدخل إلى التربية والتعليم، د. عبد الله الرشدان، و نعيم جعيني، دار الشروق، الأردن بدون رقم الطبعة، ١٩٩٩ م، ص ١٧٩.

ونظراً لتنوع مكونات البيئة المحيطة فإن الباحث سوف يقتصر في دراسته على أثر أفراد الأسرة وأثر أفراد المجتمع المحلي على الداعية.

تمهيد في بيان ما يلي:

أولاً: تعريف أثر البيئة المحيطة .

ثانياً: تعريف العصر الحاضر وحدوده.

ثالثاً: تعريف الأسرة.

رابعاً: تعريف المجتمع المحلي.

أولاً: تعريف أثر البيئة المحيطة:

(أ) تعريف الأثر:

- الأثر في اللغة:

قيل: إنه (بقية الشيء، وقال بعضهم الأثر ما بقي من رسم الشيء)^(١) .

- الأثر في الاصطلاح:

قيل: (أثر الشيء: حصول ما يدل على وجوده. يقال أثر وإثر والجمع: آثار، قال

تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا﴾^(٢) .

(ب) تعريف البيئة:

- البيئة في اللغة: قيل هي: (من بوا والمباءة: المنزل، وقيل: منزل القوم

حيث يتبعون من قبل واد أو سند جبل وفي الصحاح المباءة: منزل القوم في كل موضوع، ويقال كل منزل ينزله القوم)^(٣) .

وقيل هي: (بوا فيه وبوا له بمعنى هيا له منزله قال أبو زيد: أبات القوم منزلاً

وبوأتهم منزلاً إذا نزلت بهم إلى سند جبل أو قبل نهر. والاسم البيئة بالكسر، وبوا

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، الإمام محمد مرتضى الزبيدي، دار الفكر، بيروت، ط ١ - ١٤١٤هـ، ج ١ ص ١٢، تحقيق: علي شيري، مادة (أثر) .

(٢) سورة الحديد، جزء من الآية ٢٧ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن فضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق - دار الشامية، بيروت، ط ٢، ١٤١٠هـ، ص ٦٢، تحقيق: صفولن الداودي .

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، بدون تاريخ، ج ١، ص ٣٩ مادة (بوا) .

المكان: حله وأقام (كأباء به وتبوا، عن الاخفش، به قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^{(١)(٢)}.

- البيئة في الاصطلاح:

- قيل إنها: (المحيط أو الوسط الذي يولد فيه الإنسان وينشأ فيه ويعيش خلاله حتى تنتهي حياته)^(٣).

- وقيل إنها: (المجال الذي تحدث فيه الإثارة والتفاعل لكل وحدة حية، وهي كل ما يحيط بالإنسان من طبيعة ومجتمعات بشرية ونظم إجتماعية وعلاقات شخصية)^(٤).

- وقيل إنها: (الإطار الطبيعي والاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد بما يتضمنه من تكنولوجيا يخترعها الإنسان)^(٥). وفي نظري أنا هذا أقرب التعاريف.

(ج) - المحيطة

من حاط القوم بالبلد - حَوَاطًا، وَحَيْطَةً، وَحَيْطَةً، وَحِيَاظَةً: أحاطوا به. ويقال: حاطت به الخيل. والصبي: شدُّ حول وسطه الحَوَاطَ. و- الشيء: حَفِظَهُ وتعهَّده بجَلْب ما ينفعه ودفع ما يضره. (أَحَاطَ) الحائط: عمله. و- القوم بالبلد: أحدقوا به. ويقال: أحاطت به الخيل. و- بالأمر: أدركه من جميع نواحيه. ومنه في التنزيل العزيز: (أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ). و: (وَاللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ مُحِيطٌ)^(٦).

(١) سورة يونس، الآية ٨٧.

(٢) تاج العروس، الإمام الزبيدي، مادة (بوا)، (مرجع سابق).

(٣) المدخل المعاصرة للخدمة الاجتماعية في مجال البيئة، د. عبدالكريم عفيفي، دار المعرفة، مصر ط ١، بدون تاريخ، ص ١.

(٤) البيئة والتنمية والخدمة الاجتماعية، د. عوض سيد، د. حاتم أحمد، دار المعرفة الجامعية، مصر، بدون رقم طبعة، ١٩٩٤م، ص ٢٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٦) المعجم الوسيط، إعداد: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ٢، بدون تاريخ، ج ٢، ص ٦٠٤.

— مفهوم البيئة المحيطة:

إن مصطلح البيئة عندما يطلق يراد به عموم البيئات التي تؤثر في حياة الإنسان؛ سواءً كانت اقتصادية، أو اجتماعية، أو طبيعية، أو ثقافية.

تقول مها الأبرش: (وإن مفهوم البيئة لا يتوقف عند عناصر الطبيعة، بل لفظة البيئة تدل على أكثر من مجرد عناصر طبيعية؛ ماء، وهواء، وتربة، ومصادر للطاقة، ونباتات وحيوانات، بل تشمل رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما، وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته)^(١).

ومصطلح البيئة لا يكاد يكثر استعماله إلا في مجال المؤثرات على طبيعة الأرض من تلوث ونحوه، بينما نلاحظ قلة استعمال لفظ البيئة المحيطة، وسوف تتم دراسة قضايا البيئة المحيطة والحديث عنها من خلال مكوناتها؛ كالأسرة، المجتمع المحلي، المجتمع العام ومؤسسات المجتمع العام والعادات والتقاليد.

ولقد سبق من التعريفات اللغوية لمصطلح البيئة أن المراد بها: المنزل أو منزل القوم حيث يتبعون من قبل واد، أو سند جبل، ويقال كل منزل ينزله القوم^(٢).

وبالنظر في هذه الألفاظ من التعريف يتبين أن هناك ترابطاً بين الإنسان وبين المكان، وهذا ما يسمى: البيئة الطبيعية، وبين الإنسان والقوم الذين تبعوا ذلك المكان وهذه تسمى البيئة المحيطة أو الاجتماعية قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا حَاجُوا﴾^(٣) قال الإمام الألوسي رحمه الله: (والتبوء؛ النزول في المكان، ومنه المباءة للمنزل، ونسبته إلى الدار؛ المراد المدينة)^(٤).

(١) الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، مها الأبرش، نشر جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٧هـ — ج٢، ص٦١٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١، ص٣٩، مادة (بوا)، (مرجع سابق)، تاج العروس، الإمام الزبيدي مادة (بوا) (مرجع سابق).

(٣) سورة الحشر، آية ٩.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الإمام محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، ج٢٨، ص٥١.

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: (ومعنى تبوءهم الدار والإيمان أنهم اتخذوها مباءةً أي تمكنوا منها تمكناً شديداً، والتبوء في الأصل إنما يكون للمكان)^(١).
ولهذا يمكن أن نضع مفهوماً للبيئة المحيطة من خلال الوقوف على بعض الآيات، والأحاديث التي ورد فيها هذا المصطلح بلفظه إن وجد، أو معناه، إضافةً إلى ما سبق عرضه في التعريفات اللغوية السالفة الذكر:

أولاً: بعض ما ورد في القرآن الكريم من إشارة بالمعنى إلى البيئة المحيطة
(١)- قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِداً﴾^(٢). قال الألوسي رحمه الله: (أخرج ابن جرير عن مجاهد؛ أن هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لآدم عليه السلام، وذريته كلهم، إنما خلقوا من نفس واحدة، فمنهم من آمن بالله تعالى وكتابه فطاب، ومنهم من كفر بالله تعالى وكتابه فخبث ... إلى أن قال رحمه الله: والبلد الطيب فيه إشارة إلى معنى ما ورد في صحيح مسلم عن عياض الجاشعي رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: في خطبته عن الله عز وجل: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم)^(٣)، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه)^(٤) (٥).
ففي ذلك إشارة إلى أن البيئة الطيبة، الصالحة، تكون ثمارها - بإذن ربها - صالحة،

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ.

(٢) سورة الأعراف، آية ٥٨.

(٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٤، ص ٢١٩٧، ح ٢٨٦٥.

(٤) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، بدون تاريخ، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات حتى يصلى عليه ج ١، ص ٤٦٥، ح ١٢٩٢، تحقيق: مصطفى ديب البغا.

(٥) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الإمام الألوسي، ج ٨، ص ١٤٨، (مرجع سابق).

ومثلها البيئة الطالحة تكون ثمارها غالباً متأثرةً بتلك البيئة، قال د. مقداد يلجن: (ذلك أنه كما أن الأمراض تنتقل بالعدوى، كذلك الأمراض الأخلاقية والاجتماعية تنتقل بالتقليد والمحاكاة، والعادات الاجتماعية، إذ لا يمكن^(١) أن يبقى شخص سليماً إذا كان يعيش في بيئة اجتماعية موبوءة بالأمراض، وكذلك الأمر بالنسبة للأمراض الاجتماعية، ومنها الجرائم، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا تَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾^(٢) (٣).

(٢)- قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾^(٤) قال البيضاوي رحمه الله: عن هذه الآية: (محاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها)^(٥)، وقال ابن كثير رحمه الله: (وإنما قدر الله كون زكريا كفلاً لسعادتها، لتقتبس منه علماً جماً نافعاً، وعملاً صالحاً؛ لأنه كان زوج خالتها)^(٦).
قال ابن الجوزي رحمه الله: (أي جعل نشوءها نشوءاً حسناً)^(٧).

وقال الألوسي رحمه الله: (قال الواسطي: وكفلها زكريا لطهارة سره وشبهه الشيء

(١) في مسألة الجزم نظر ولكن يقال غالباً.

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية ٥٨.

(٣) التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، د. مقداد يلجن، مؤسسة دار الريحاني، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ ص ١٩٩.

(٤) سورة آل عمران جزء من الآية ٣٧.

(٥) تفسير البيضاوي، الإمام البيضاوي، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ، ج٢، ص ٢٣٤، حققه عبد القادر حسونة.

(٦) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر، بيروت، بدون رقم طبعة، ١٤٠١ هـ، ج١ ص ٣٦١.

(٧) زاد المسير في علم التفسير، الإمام عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤ هـ، ج١ ص ٣٧٧.

منجذب إليه^(١) وقال الشعالي رحمه الله: (عبارة عن حسن النشأة في خُلُقهِ ﷺ)^(٢).

نلاحظ نما سبق من كلام أئمة التفسير أن التنشئة في بيئة صالحة يكسب الناشئ فيها الصلاح، والسعادة، والعلم النافع، قال د. علي خليل: (فالمَنْزِل والأسرة والأب والأم وغيرهم مؤثر في تربية الطفل على ما تواضع عليه مجتمعه، وارتضاه عُرفه؛ من نظم وآداب، وتقاليد، وسلوك، وأعمال، ومعتقدات)^(٣).

(٣) - قال الله تعالى على لسان قوم مريم عليها السلام ﴿يَتَأَخَّتْ هَنُورُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾^(٤) قال الطبري رحمه الله: (قال قتادة: كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح، ولا يعرفون بالفساد، و من الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به، وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به)^(٥). قال ابن كثير رحمه الله: (أي: أنت من بيت طاهر طيب معروف بالصلاح والعبادة)^(٦).

قال الألوسي رحمه الله: (إن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش، وفيه دليل على أن القروع غالباً ما تكون زاكية إذا زكت الأصول)^(٧).

قال ابن سعدي رحمه الله: (أي لم يكن أبوك إلا صالحين، سالمين من الشر، وخصوصاً الشر الذي يشيرون إليه، وقصدهم: كيف كنت على غير وصفهما؟ وأتيت بما لم يأتيا به؟ وذلك أن الذرية - في الغالب - بعضها من بعض، في الصلاح وضده،

(١) روح المعاني، محمود الألوسي، ج ٣، ص ١٤٣، (مرجع سابق).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن محمد الشعالي، مؤسسة الأعظمي للطبوعات، بيروت، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، ج ١، ص ٢٦١.

(٣) قراءة تربوية في فكر أبي الحسن الماوردي من خلال كتاب أدب الدنيا والدين، د. علي خليل مصطفى، دار الفكر العربي، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، ص ٢٨٩.

(٤) سورة مريم، الآية ٢٨.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ط ١، بدون تاريخ، ج ١٦، ص ٧٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ١١٥ (مرجع سابق).

(٧) روح المعاني، الإمام الألوسي، ج ١٦، ص ٨٨، (مرجع سابق).

فتعجبوا - بحسب ما قام في قلوبهم^(١).

فيما سبق من أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة أن غالب من يتربى وينشأ في وسط بيئة صالحة أنه يكون من أهل الصلاح، وغالب من يعيش في بيئة فاسدة يكون من أهل الفساد قال خليل الحدرى: (فالبينة تؤثر سلباً أو إيجاباً - في تربية الإنسان أيما تأثير، والشياطين تحتال، وتخطف، وهؤلاء الشياطين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فهم يقعدون للناس كل مرصد، ويقطعون عليهم كل طريق خير، وقد كشف عن هويتهم للناس رسول الله ﷺ، كما جاء من حديث عن جابر بن عبد الله قال: (كنا ثم النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: هذا سبيل الله ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(٢).^(٣).^(٤)).

ثانياً: بعض ما ورد في السنة النبوية حول مفهوم البيئة المحيطة:

باستقراء بعض النصوص في سيرة المصطفى ﷺ نجد من الشواهد ما يبين ذلك

المفهوم مايلي:

(١)- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه،... ثم قال أبو

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، مؤسسة الرسالة، طه، ١٤١٧هـ، ص ٤٤١.

(٢) سورة الأنعام جزء من الآية ١٥٣.

(٣) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، باب إتباع سنة الرسول، ج ١، ص ٦، ح ١١، حققه محمد فواد عبد الباقي. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ، ج ١، ص ٢١، ح ١١.

(٤) التربية الوقائية في الإسلام، خليل الحدرى، جامعة أم القرى، مكة، ط ١، ١٤١٨هـ، ص ٥٧.

هريرة: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ آلَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١) قال ابن حجر رحمه الله: (قال الطيبي: والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبل، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالقليد)^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: (والمولود ولد على الفطرة سليماً وولد على أن هذه الفطرة السليمة يغيرها الأبوان كما قدر الله ذلك وكتبه)^(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله في موضع آخر: (فَعَلِمَ أن المراد بالحديث أن الأبوين يلقنانه الكفر ويعلمانه إياه. وذكر الأبوين لأنهما الأصل العام الغالب في تربية الأطفال)^(٤).

(٢)- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: (كان فيمن كان قبلكم كان رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأثابه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكممل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة

(١) سورة الروم، جزء من الآية ٣٠.

(٢) سبق تخريجه ص ٥.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر دار المعرفة، بيروت، بدون رقم طبعة، ١٣٧٩، ج ٢، ص ٢٤٩ حققه محمد فواد عبد الباقي، محب الدين الخطيب.

(٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الفكر بدون رقم طبعة، ١٣٩٨، ج ١، ص ١٨٤، حققه بدر الدين الحلي.

(٥) أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، رمادي للنشر، دار ابن حزم، ط، ١٤١٨، ج ٢، ص ١٠٤٧، حققه يوسف البكري شاكر العارودي.

الرحمة وملائكة العذاب، فقالت: ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة: فقال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه الموت ناء بصدره^(١). قال النووي رحمه الله: (قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والإخوان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ماداموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير، والصلاح، والعلماء، والمتعبدين للورعين، ومن يُقتدى بهم وينتفع بصحبته، وتؤكد بذلك توبته)^(٢).

إذن فمن خلال التعريفات اللغوية، وما ورد في الكتاب والسنة من معنى البيئة يستخلص الباحث مفهوماً للبيئة المحيطة المراد دراستها: (أنها المحيط الذي يجمع أفراد الأسرة والمجتمع المحلي الذين لهم أثر معين أو معيق على الداعية).

تعريف العصر الحاضر وحدوده:

د - تعريف العصر:

- تعريف العصر في اللغة: العصر؛ الدهر والزمن، ويقال في (التاريخ) العصر القديم، والعصر المتوسط، والعصر الحاضر^(٣).
- تعريف العصر في الاصطلاح: العصر يطلق على الزمان، وهو العصر الذي نعيش فيه الآن^(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، ج ٤، ص ٢١١٨، ح ٢٧٦٦ (مرجع سابق).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣، ج ١٧، ص ٨٢، ح ٢٧٦٦.

(٣) المعجم الوسيط، إعداد: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٢، ص ٦٠٤، (مرجع سابق).

(٤) الغلو في حياة المسلمين المعاصرة، د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤١٢هـ، ص ٢١.

- تعريف الحاضر:

تعريف الحاضر في اللغة: الحاضر من حضر، قال ابن منظور: (الحضور نقيض المغيب والغيبة)^(١).

تعريف الحاضر في الاصطلاح: قال الأندلسي: (هو ما كان من الأزمنة متوسطاً بين الماضي والمستقبل)^(٢).

- حدود العصر الحاضر:

نظراً لأهمية تحديد الحقبة الزمنية المراد بحثها في العصر الحاضر، وحرصاً على تجنب التوسع الذي قد يُضعف تناول الموضوع، فإن الباحث جعل دراسته لأثر البيئة المحيطة في العصر الحاضر؛ منذ سبعين سنة إلى وقتنا الحاضر، حيث إن ذلك هو غالب أعمار الأمة كما أخبر الرسول ﷺ: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك)^(٣).

قال المباركفوري رحمه الله: (قال الطيبي: وهذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال، فإن منهم من لم يبلغ ستين سنة ومنهم من يجوز سبعين)^(٤).

ومن الأسباب التي جعلتني أختار هذه الفترة هي:

١- إن هذه المدة ظهر فيها التغير في آثار أفراد الأسرة والمجتمع على الدعوة.

٢- سرعة التغيرات التي طرأت على البيئات الاجتماعية في هذه المدة مقارنة بما يماثلها من المدد السابقة.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ١٩٦، مادة (حضر)، (مرجع سابق).

(٢) فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ج ٣، ص ١٦٦، (مرجع سابق).

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، ج ٢، ص ١٤١٥، ح ٤٢٣٦، (مرجع سابق) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، ج ٣، ص ٣٧٩، ح ٣٤٣٣، (مرجع سابق).

(٤) تحفة الأحوذى، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، كتاب الزهد، باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، ج ٦، ص ٥١٣، (مرجع سابق).

٣- ظهور وسائل التقنية الحديثة التي كان لها أثر واضح على البيئات الاجتماعية في فترة وجيزة.
وعلى ذلك فإن الباحث سوف يتناول - بإذن الله- في هذا الفصل أثر البيئة الاجتماعية (أفراد الأسرة، أفراد المجتمع المحلي) على الدعوة في العصر الحاضر منذ سبعين سنة مضت إلى وقتنا الحاضر .
وللحديث عن أثر البيئة المحيطة على الداعية في العصر الحاضر قسمت البحث إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: أثر الأسرة على الداعية في العصر الحاضر

المبحث الثاني: أثر المجتمع المحلي على الداعية في العصر الحاضر

المبحث الثالث: عوائق تعترض الداعية في البيئة المحيطة

المبحث الرابع: سبل علاج تلك العوائق في البيئة المحيطة .

المبحث الأول

أثر الأسرة على الداعية في العصر الحاضر

وتحتة تمهيد ومطلبان:

تمهيد:

سوف يكون الحديث - بإذن الله- في هذا المبحث عن أثر البيئة المحيطة على الداعية في العصر الحاضر، وذلك من خلال أثر الأسرة^(١) وذلك في المطلبين الآتيين:

(١) انظر مكونات البيئة المحيطة ص ٢ من البحث.

المطلب الأول: تعريف الأسرة:

أ- الأسرة في اللغة: من أسر، والأسرة الدرع الحصينة^(١).

ب- الأسرة^(٢) في الاصطلاح: قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: (قال في النهاية: الأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته لأنه يتقوى بهم، وقال السندي: (رهطه الأقربون)^(٣).

وفي علم الاجتماع المعاصر يقول جون لوك: (أن الأسرة مجموعة من الأشخاص ارتبطوا بروابط الزواج والدم والإنجاب)^(٤).

تتفق معظم الدراسات الاجتماعية على أن الأسرة هي النواة الأولى والمؤثر الأساسي على تكوين الفرد، وهذه الحقيقة قد سبق إليها الإسلام في نصوص كثيرة، يقول ﷺ: (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(٥).

ولذلك تكتسب الأسرة أهمية عظيمة كونها هي المؤثر الأول في حياة الداعية، يقول محمد محمد أبو زيد: (البيئة أثر خطر في حياة أي إنسان، وأثر أخطر في حياة الداعية، حيث إن كثيراً من مواقف الداعية تشكل بحسب تأثير أسرته الأولى في شخصيته)^(٦). والداعية كونه واحداً من أفراد الأسرة، يظهر غالباً أثر الأسرة في توجهاته الفكرية

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ١٩، مادة (أسر)، (مرجع سابق).

(٢) الأسرة في الإسلام أوسع مدى من القوانين الأخرى، فإن الأسرة في الإسلام تشمل الزوجين والأولاد، السنين هم ثمرة الزواج وفروعهم، كما تشمل الأصول من الأباء والأمهات فيدخل في هذا الأجداد والجدات، وتشمل أيضاً فروع الأبوين، وهم الأخوة والأخوات وأولادهم، وتشمل أيضاً فروع الأجداد والجدات، فيشمل العم والعمة وفروعهما والخال والخالة وفروعهما، وهكذا فإن كلمة الأسرة: تشمل الزوجين، والأقارب جميعاً، سواء منهم الأذنون أو غير الأذنون. انظر تنظيم الإسلام للمجتمع، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون رقم طبعة بدون تاريخ، ص ٦٢.

(٣) عون المعبود في شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ج ١، ص ٤٨، (مرجع سابق).

(٤) الطفل والأسرة والمجتمع، عصام نمر، عزيز سمارة، دار الفكر للنشر، عمان، ط ١، ١٩٩٠، ص ١٠.

(٥) صحيح البخاري، ح ١٢٩٢، سبق تخريجه ص ٥.

(٦) أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية، محمد محمد أبو زيد، ص ٢٧، (مرجع سابق).

ومكوناته العلمية، وتوجهاته الدعوية، تقول ليلي عبد الرشيد عطار: (إن البيئة الأسرية [البيت] هي المحضن الأساسي الذي يتلقى منه النشء الفضائل والقيم والأخلاق، وعن طريقه تتحدد سلوكيات الأبناء، ومن خلاله تتكون وتشكل شخصياتهم الإيمانية أو الغير^(١) إيمانية^(٢)). ويقول عبد الكريم المحرج: لاشك أن الأسرة هي البيئة الأولى التي يتعامل معها الطفل، وهي التي تضع البذور الأساسية الأولى في بناء شخصيته^(٣).

المطلب الثاني: أثر الأسرة على الداعية في العصر الحاضر ويظهر ذلك فيما يلي:

- ١- التنشئة الاجتماعية في الأسرة وأثرها على الداعية.
 - ٢- بناء القدوة من خلال الأسرة وأثره على الداعية في العصر الحاضر.
 - ٣- التشجيع في الأسرة وأثره على الداعية في العصر الحاضر.
 - ١- التنشئة الاجتماعية في الأسرة وأثرها على الداعية:
- التنشئة الاجتماعية: (هي العملية التي تشكل خلالها معايير الفرد، ومهاراته، ودوافعه، واتجاهاته، وسلوكه، لكي تتوافق وتتفق مع تلك التي يعتبرها المجتمع مرغوبة ومستحسنة لدورها الراهن، أو المستقبل في المجتمع)^(٤).
- من خلال تعريف التنشئة الاجتماعية يتبين دور الأسرة في بناء مسار الداعية والمساهمة في غرس مقومات نجاح الداعية، من خلال التطبيق العملي للدعوة، وأحدث على أداؤها كرسالة عظيمة، يقول صالح أبو جادو: (نلاحظ أن الأسرة من أهم

(١) الصحيح في اللغة: غير الإيمانية.

(٢) الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية، ليلي عبد الرشيد عطار، ثمانية، جدة، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٥٨.

(٣) انظر دور إدارة المدرسة الثانوية في تنمية العلاقة مع المجتمع المحلي، عبد الكريم بن عبد العزيز المحرج، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ص٢٢.

(٤) سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، عبد الرحمن العيسوي، دار الفكر الجامعي، مصر، بدون رقم الطبعة، ١٩٨٤ ص٢٠٧.

المؤسسات التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية، وهي أول جماعة يعيش فيها الطفل، ويشعر بالانتماء إليها، وهي الوعاء التربوي الذي تشكل داخله شخصية الطفل، تشكلاً فردياً اجتماعياً، وهي بذلك تمارس عمليات تربوية هادفة لتحقيق نمو الفرد والمجتمع^(١).

وتقع مسؤولية التنشئة الاجتماعية للداعي غالباً على الأبوين قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوَّاءَ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢) وقال ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوداه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(٣).

وعلى كل حال فالآباء بمثابة المصفاة التي تصفي أو تنقي القيم قبل نقلها، ويمثل الأب دور المعلم في عملية التنشئة الاجتماعية^(٤)، وكذلك الأم تعتبر ركناً هاماً في بناء الأسرة، بل هي أهم ركن فيه، فهي تزود المجتمع بأهم أركانه، وهم الأبناء، ثم تقوم بتنشئتهم وإعدادهم الإعداد الجيد، وبناء مجتمع متماسك^(٥).

وعلى ذلك فبعض الأسر تساعد على تنشئة الداعي على طريق العلم والعلماء وفق منهج يتدرج فيه بحسب قدراته وإمكانياته، مع الحرص على إبعاده عن كل ما يشغله وكذلك ربطه بالقرين الصالح والمعين، و تسهيل كل وسيلة تعينه على سلوك طريق الدعوة وتعظيم مهمة الدعوة في نفسه.

(١) سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، صالح محمد علي أبو جادو، دار المسيرة، عمان، ط١، ١٤١٨هـ، ص٢٥٢.

(٢) سورة التحريم، الآية ٦.

(٣) سبق تخريجه ص ٥.

(٤) انظر: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، عبد الرحمن العيسوي، دار الفكر الجامعي، مصر، بدون رقم الطبعة، ١٩٨٤، ص٢١٠.

(٥) انظر مسؤولية الأم المسلمة في تربية البنت في مرحلة الطفولة، حليلة علي أبو رزق، دار المناهج، عمان، ط١، ١٤٢٢هـ، ص٧٠، (بتصرف).

في حين فرطت كثير من الأسر في العصر الحاضر بسبب تعدد مصادر التلقي على اختلاف مناهجها، وقلة الرقابة من الوالدين وضعف التمييز بين الصحيح وغيره، مما يشكل خطراً على المتلقي .

وقد يشترك الأبوان في إضعاف التنشئة الاجتماعية لأفراد أسرهما، من خلال إطلاق حرية التلقي من وسائل الإعلام والتقنيات المختلفة، وهذا له أثر عظيم على أفراد الأسرة من نواحي متعددة، من أهمها؛ صرف اهتمام النشء عن طريق الاستقامة والاهتمام بالدعوة، ولذا فإن البث التلفزيوني يشكل خطورة على ثقافة الأجيال من الوجوه التالية:

١- إضعاف مستوى التعليم لدى أفراد الأمة، وقد أجريت دراسة عن أثر التلفزيون على تحصيل الطالب، فأفاد ٦٠% ممن شملتهم الدراسة أنه يشغل عن التحصيل والاستذكار.

٢- تلقين مفاهيم جديدة.

٣- ربط الناس بمناهج غريبة.

٤- شيوع الخمول والكسل وعدم الجدية.

٥- إضعاف مستوى التلاميذ في اللغة العربية^(١).

بالإضافة إلى أن (الدش)، طبق استقبال البث الفضائي، أصبحت اليوم في كثير من الأسر بديلاً للقراءة مما عطل البحث والاطلاع، ويعود السبب في ذلك إلى الأسرة التي أصبحت تنبأى بعدد القنوات التي يبثها (الدش) للمشاهدة، ومدى اجتماعها لساعات طويلة لمتابعة كل ما يعرض من أفلام ومسلسلات^(٢).

فيكون أثر التلقي من هذه المصادر هو غرس النموذج السيء، وبث الاهتمامات

(١) انظر: البث المباشر حقائق وارقام، د. ناصر العمر، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، ص٥٧-٥٨.

(٢) انظر جريدة عكاظ، الدش يطفئ حرارة العلاقة الأسرية، للماسة المحسن، العدد ١٠٠١٨، تاريخ ٢٤ رجب

١٤١٤هـ، ص٦.

الهابطة في نفوس أفراد الأسرة، يقول إبراهيم خليفة: (إن الأفلام ومسلسلات العنف والجريمة والإدمان والخيانة والجنس تعطي الأطفال والمراهقين المثل والنموذج، وترسم أهم تفاصيل التنفيذ والإفلات من العقاب، الأمر الذي يجعل تأثيرها ملموساً في حياة النشء، وسلوكه، وتصرفاته، ومعاملاته)^(١).

فكيف تكون الآثار على الأسرة التي ينتظر منها إخراج دعاة الأمة؟.

فهذه الآثار التي تسببها القنوات الفضائية، كانت نتائج دراسة أجريت عام اثني عشر وأربعمائة وألف؛ أي قبل انتشار البث الفضائي بهذه الصورة الكثيفة والمضامين الهابطة، ولها تلك الآثار على أفراد الأسرة المسلمة التي ينتظر منها إخراج الدعاة، فكيف يكون جيل اليوم الذي غُيب عن هدفه الأعظم بهذا الكم الهائل من الملهيات والمغريات والصوارف؟.

أما الأمهات فقد كان لخروجهن من المنزل سواء للعمل أو غيره أثر على التنشئة الاجتماعية الصحيحة، حيث حل محلها الخادمة أو المربية، وهذا بلاشك له أثر كبير على تنشئة الداعية في الأسرة، تقول شهيرة الباز: (ونجد المرأة المسلمة المعاصرة في بعض الدول الغنية تعهد إلى الخادمة بالأعمال المنزلية، وبتربية الأولاد، مما أدى إلى كثير من الآثار السلبية الناجمة عن الانتماءات الثقافية المختلفة للخادمات، ومن ثم أصبحت هذه الدول تتعرض لدرجة من النقل الحضاري "أي إدخال أنماط سلوكية وعادات وتقاليد عن طريق الوافدين")^(٢).

٢ - بناء القدوة من خلال الأسرة وأثرها على الداعية في العصر الحاضر:

يقول أبو الحسن الندوي - رحمه الله -: (إن القدوة في المنظور الإسلامي هي بمثابة نموذج مثالي واقعي يجمع بين الإيمان والاعتقاد، وبين الوعي والرشد والنضج، ويقوم

(١) خليفة إبراهيم، غول في منزلنا، مجلة الدعوة، الرياض، العدد ١٢٥٠، ١٤ محرم ١٤١٤هـ، ص ٢٢.

(٢) شهيرة الباز، المرأة العربية ونظام القيم، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٢٠، ١٤٠٩هـ، ص ١٠٤-١١٣.

على الحب والطاعة والوضوح، يقتدي به الفرد أو الجماعة قولاً وعملاً^(١). ويقول أبو الأعلى المودودي -رحمه الله-: (ويمثل الاقتداء بالأنبياء قمة مظاهر القدوة ومضامينها إلى درجة تصل إلى حد الوجوب الملزم المستوجب لكمال الإيمان)^(٢) إن القدوة في الأسرة لها أثر كبير على سلوكيات الأفراد، ولذلك جمع الله صفات الكمال البشري في شخص محمد قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) وقال عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن)^(٤)، وعن أنس رضي الله عنه قال: (خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف ولا لم صنعت ولا ألا صنعت)^(٥).

وحين سئلت عائشة رضي الله عنها عما كان يصنع النبي ﷺ في بيته قالت: (كان يكون في مهنة أهله؛ فإذا سمع الأذان خرج)^(٦).

قال ابن حجر -رحمه الله-: (قال ابن بطال: من أخلاق الأنبياء التواضع والبعد عن التعم، وامتهان النفس ليستن بهم، ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة)^(٧).

وفي دراسة أجراها د. مسعد عويس على عينة من الطلاب والطالبات بلغ عددهم ٥٦٠ من مختلف التخصصات الدراسية أعمارهم بين ١٦-٢٥ سنة، لمعرفة مكانة القدوة عند النشء والشباب، كانت النتائج أن هناك ٥١٠ منهم أي بنسبة ٩١,١%.

(١) القدوة وأثرها في التنشئة الاجتماعية لتلاميذ المرحلة الابتدائية، محمد شحات خطيب، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، بدون رقم طبعة، ١٤١٧هـ، ص ٤٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة القلم، الآية ٤.

(٤) مسند الإمام أحمد، ج ٤٢، ص ١٨٣، ح ٢٥٣٠٢، (مرجع سابق)، وقال شعيب الأرناؤوط، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ج ٥، ص ٢٢٤٥، ح ٥٦٩١، (مرجع سابق).

(٦) صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب رحمة الرجل في أهله، ج ٥، ص ٢٠٥٢، ح ٥٠٤٨، (مرجع سابق).

(٧) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج ١٠، ص ٤٦٠، (مرجع سابق).

يوجد لديهم من يتخذونه قدوة على وجه العموم ونسبة ٢,٥% ليس لديهم قدوة يقتدون به على وجه العموم ونسبة ٣,٢% لا يعلمون تماماً إن كان لديهم قدوة يقتدون بهم^(١)، فالقدوة الأولى في حياة الداعية من أفراد أسرته، يكون على الوالدين، يقول بطي محمد الفلاحى: (فلا بد من قدوة للطفل داخل أسرته ومن والديه، لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية، والقيم الأخلاقية، وهي مهمة في المراحل الأولى للنمو وبخاصة في مرحلة ما بين (الستين وسبع سنوات) حيث تكمن أهمية سلوك الوالدين كقدوة للطفل)^(٢).

والداعي في العصر الحاضر واحد من أفراد الأسرة الذين يتأثرون بأسرهم، سواء كان ذلك التأثير في القول، أو العمل، أو الاهتمامات، ولكون الأمة قد أصيبت في هذه الأزمنة بالضعف والتبعية التي تجعل الضعيف يقلد القوي ويحاكيه، وذلك كله نتيجة لبعدها عن تعاليم دينها الذي كفل لها العزة، والكرامة، والقيادة، والريادة، فإن القدوات الأسرية في العصر الحاضر قل أثرهم على أفراد الأسرة لوجود من ينافسهم في التأثير مثل المعلمين والمرين، يقول د. عبد الكريم بكار: (إن من أكبر المشكلات التي واجهتها الجهود التربوية في كل زمان ومكان تلك، المساحات الفاصلة بين أقوال المرين وأفعالهم، وربما لهذا السبب كان تأثير الأستاذ في الطالب أعظم من تأثير أبيه فيه، لأنه يرى أباه في كل أحواله، ولا يرى أستاذه إلا في أفضل أحواله، فهو لا يرى تقريباً إلا الاتزان والكمال)^(٣). فالابن الذي يسمع عبارات تحريم الدخان مثلاً في المدرسة أو في المسجد قد يشاهد أباه يدخن، ويسمع أن صلاة الجماعة واجبة، ثم يرى

(١) القدوة في عيط النشء والشباب، د. مسعد عويس، دار الفكر العربي، مصر، بدون رقم طبعة، ١٩٧٩م، ص ٩٧.

(٢) دور التربية في غرس القيم الأخلاقية في نفوس الناشئة، بطي محمد الفلاحى، وزارة التربية والتعليم، دولة الإمارات، بدون رقم طبعة، ١٩٩٢م، ص ٤٦.

(٣) دليل التربية الأسرية، د. عبد الكريم بكار، دار الأعلام، الأردن، ط ١، ١٤٢٢هـ، ص ١٣٨.

أباه لا يذهب إلى المسجد، والبنت التي تتعلم الحجاب الإسلامي الصحيح تنظر إلى أمها وهي تخالف ذلك، يقول بطي الفلاحي عن الوالدين: (وإذا تفاوت قولهم عن فعلهم أدى ذلك إلى ضعف الضمير عند الطفل، لأنه يعمد إلى تقليد والديه في سلوكهم حيث يعتقد أن كل ما يفعلونه حسناً)^(١).

والداعية في أسرته يتأثر باهتماماتها فتصبح هذه الاهتمامات جزءاً من اهتماماته، فإذا كان الاهتمام بشؤون العلم بارزة في حياة الأسرة ظهر ذلك على أفرادها، وإذا كانت شؤون الحياة الأخرى بارزة في حياة الأسرة ظهر ذلك على أفرادها غالباً، يقول د. سال سيفير: (إن البيئة تشكل طريقة تعلم الطفل لسلوكه، فالآباء الذين يقدرّون التعليم لديهم أبناء أداء تعليمي بارز، والأسر التي تشجع روح الفريق يلتزم أبناؤها بالتعاون والجد في العمل، والجيران الذين يراعون الوثام والتناغم يلعب أولادهم معاً بمودة)^(٢).

والقدوة للداعية في الأسرة دخل عليها من يزاحمها داخل سكنها، بل في أخص مواضعها، تلك هي وسائل الإعلام من فضائيات، ومجلات، فيديو، وراديو، وسائل تقنية مثل الشبكة العنكبوتية أو ما يسمى (الإنترنت).

فوجود مثل هذه الوسائل الدخيلة على الأسرة، لاشك أنه يُضعف ما يغرسه المربون والمهتمون بشأن الدعوة بشكل نسبي يتفاوت بحسب الساعات التي يتلقونها ونوع المادة ولذا نجد قلة في أعداد الدعاة مقابل ما يحتاجه المجتمع المتسع يوماً بعد يوم بما فيه من منكرات، يقول د. ناصر العمر: (إن استمرار مشاهدة الحياة الغربية، وإبراز زعماء الشرق والغرب داخل بيوتنا، والاستمرار في عرض التمثيليات والمسلسلات سيخفف ويضعف من البغض لأعداء الله، ويكسر الحاجز الشعوري، فمع كثير المساس يقل

(١) دور التربية في غرس القيم الأخلاقية في نفوس الناشئة، بطي الفلاحي، ص ٤٦، (مرجع سابق).

(٢) كيف تكون قدوة حسنة لابنك، د. سال سيفير، مكتبة جرير، الرياض، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٢٦.

الإحساس، والله جل وعلا يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١)، ومن أمثلة ذلك، حب وتعظيم
كثير منهم كلاعي كرة القدم وخذ مثلاً (.....)^(٢) ذكر الشيخ بعض أسماء
اللاعبين، وبعض الغنيين مثل (.....) الذي تعلق به كثير من الشباب والشابات،
(.....) الذي أعجب به حتى الأطفال، وأصبح الواحد منهم يقوم ببعض
الحركات ويقول: أنا..... ناهيك عن حب كثير من المثلات وعارضات
الأزياء وهلم جرا^(٣).

ويمكن القول إن أثر الأسرة في القدوة على الداعية في العصر الحاضر يستلخص
في الآتي:

- ١- هناك بعض الأسر التي واجهت واقع المجتمع والأمة، فكان الآباء والأمهات قدوات
صالحة داخل الأسرة، فخرج - بإذن الله - الدعاة الذين حملوا مشعل الدعوة،
وأعمال البر المختلفة، وهؤلاء امتداداً للطائفة المنصورة التي أخبر عنها رسول الهدى
ﷺ بقوله كما في حديث ثوبان رضي الله عنه: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)^(٤).
- ٢- كثير من الأسر زرعت في نفوس أفرادها ضعفاً في تطبيق أوامر الدين والدعوة إليه
بسبب مخالفة تلك القدوات في الأسرة لما يقولون، أو ما يتعلمه النشء من تعاليم
الدين.

- ٣- بعض الأسر كانت قدوة لأفرادها في غرس اهتمامات دينية شغلت جل
تفكيرهم، وقد تكون أحياناً غير مباحة، وفي المقابل قل اهتمام النشء فيها بالدعوة

(١) سورة المجادلة، جزء من الآية ٢٢.

(٢) ذكر الشيخ ناصر بعض الأسماء المشهورة في التمثيل ولعب الكرة.

(٣) البث المباشر حقائق وأرقام، د. ناصر العمر، ص ٥٢، (مرجع سابق).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، ج ٣، ص ١٥٢٣، ح ١٩٢٠

(مرجع سابق).

وتوقير العلماء وحمل هم الدين.

٤- سماح كثير من الآباء والأمهات بدخول القدوات الوافدة المخالفة للدين والعادات والتقاليد عبر وسائل الإعلام، والتقنية التي جعلت من أهل الفسق واللغو نجوماً وكبتت ذكر الدعاة والمصلحين إلا من رحم الله.

٣ - التشجيع في الأسرة وأثره على الداعي في العصر الحاضر:

إن رعاية الأسرة لأبنائها بنية إصلاحهم، وجعلهم مصلحين في مجتمعاتهم، هدف عظيم يدل على امتثال تلك الأسر لأوامر الله تعالى، القائل: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١). وقول الرسول ﷺ: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)^(٢).

ويدل أيضاً على استشعار تلك الأسر للمسؤولية التي حملها رسولنا ﷺ كل أب وأم ومربي، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده ومسؤول عنه، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(٣).

ولاشك أن التشجيع والمتابعة للداعي في أسرته لا يقل أهمية عن التنشئة الاجتماعية

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ج ٤، ص ١٨٧٢، ح ٢٤٠٦، (مرجع سابق).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده ونسب الرسول ﷺ المال إلى السيد، ج ٢، ص ٩٠١، ح ٢٤١٩، (مرجع سابق) وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب الإمامة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحق عليه الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج ٣، ص ١٤٥٩، ح ١٨٢٩، (مرجع سابق).

الصحيحة، والقُدوة الحسنة في الأسرة، فالأب والأم ومن يقوم مقامهما في الأسرة يقع عليهم مسؤولية المتابعة المستمرة للداعية، والتشجيع له أثناء سيره في طريق الدعوة والدعاة، فالتشجيع منهج رباني، ففي الجهاد مثلاً يعد الله المؤمنين مغام كثيرة، وعاقبة حسنة حثاً لهم وتشجيعاً، قال تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (١).

يقول د. عبد العزيز النغمشي: (جعل - سبحانه - المؤمنين ينطلقون في دعوتهم وجهادهم - بعد إخلاصهم له - من منطلقين: دنيوي هو النصر والتمكين في الأرض، وأخروي هو الشهادة في سبيل الله، بحيث ينطلق المؤمن للجهاد وهو رابح على أي الحالين) (٢). والنصوص التي تبين التشجيع والتحفيز للمؤمنين كثيرة في كتاب الله، وفي سنة المصطفى ﷺ كما في قصة أشج عبد قيس: (إن فيك خصلتين يجبهما الله: الحلم والأناة) (٣) وحث الرسول ﷺ على التجاوب مع الناس وشكرهم على بذلهم وأفعالهم الحسنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) (٤).

وعندما عبّر الرسول ﷺ رؤيا لعبد الله بن عمر رضي الله عنه قال ﷺ مشجعاً: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل)، فكان عبد الله بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً (٥).

(١) سورة الفتح، الآية ٢٠.

(٢) علم النفس الدعوي - دراسة نفسية، تربوية - د. عبد العزيز محمد النغمشي، دار المسلم، الرياض، ط١٤١٥هـ، ص ١٠٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، ج ١، ص ٤٨، ح ١٧، (مرجع سابق).

(٤) سنن الترمذي، كتاب البر والإيمان، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ج ٤، ص ٣٣٩، ح ١٩٥٤، (مرجع سابق)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ج ٢، ص ٣٦١، ح ١٩٥٤، (مرجع سابق).

(٥) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، ج ١، ص ٣٧٨، ح ١٠٧٠١، (مرجع سابق).

وقد أشارت الأبحاث النفسية إلى الجدوى والأثر الإيجابي لهذا الأسلوب؛ حيث يقرن المربي ثناءه على المتعلم بالملاحظات التي يراها ويكتب انطباعه، فمن الأبحاث في هذا الجانب ما عمله مكيشون وريون؛ حيث قاما باختبار أثر التشجيع المقرون بتعليقات المعلم على إنتاجية المتعلمين، ومدى تحسن أدائهم، فوجدوا أن المجموعة التي تُدَوَّن لها الملاحظات بالتفصيل تتقدم أكثر، وتتجاوب بصورة ملفتة بنسبة ٥٥%، ويأتي بعد ذلك المجموعة التي زُوِّدت بالحكم على عملها إجمالاً بنسبة ٢٢%، وفي الأخير تأتي المجموعة التي لم يُسَمَّن لها شيء حيث كان تحسنها بطيئاً جداً بنسبة ٥%.

ورعاية الداعي من قبل المربين داخل الأسرة تكون بمعرفة أقرانه الذين يجلس معهم ويتأثر بهم، قال ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)^(١).

قال محمد المباركفوري رحمه الله: (على دين خليله أي؛ على عادة صاحبه وطريقته وسيرته)^(٢) ثم إن متابعة توازن الداعي في أداء جميع الحقوق الواجبة عليه من واجبات الأسرة تجاه الداعي فعن أبي جحيفة عن أبيه رضي الله عنه قال: (آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال: كل، قال: فلائي صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً؛ ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم طبع، بدون تاريخ نشر، كتاب الزهد، ج٤، ص ٥٨٩، ح ٢٣٧٨ حققه أحمد شاكر وآخرون، وانظر صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، ج٢، ص ٥٥٤، ح ٢٣٧٨.

(٢) تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، كتاب الزهد، ج٧، ص ٤٢، (مرجع

سابق).

كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ صدق سلمان^(١). وفي العصر الحاضر يلاحظ قلة تلك الأسر التي تعني بمتابعة الداعي وتشجيعه، أما جهلاً من أغلب الأسر بأهمية رعاية الدعاة وتنشئتهم وفق منهج السلف الصالح، أو صرف أغلب المهوم إلى الدنيا، وحث الأبناء على نيلها والتشجيع والمتابعة من أجلها، بل الأعجب من ذلك كله أن يوجد في بعض بيئات المسلمين آباء وأمّهات يصدون أولادهم عن طريق الصلاح والدعوة، ففي استبانة عملت من قبل أم محمد وأم مجاهد، عن أسباب المعوقات عن الاستقامة على عدد من الفتيات، فكان المعوق الثاني يتمثل في مجتمع الفتاة الذي تعيش فيه مع الإخوة والأخوات والوالدين، ولذا كان أثر هذا المعوق فيهن بنسبة ٣٢%. وكانت نتيجة الدراسة وجود عوائق من الوالدين صرحتا صاحبتا الاستبانة بقولهما: (للأسف الشديد وفي هذا الزمان أصبح الوالدان عائقين يعوقان أولادهما عن طرق الاستقامة)^(٢).

هذا بالإضافة إلى جملة من أسباب؛ ككره بعض الآباء والأمّهات لاستقامة أولادهم وتلخص فيما يلي:

- ١- إن ذلك الأب قد تشرّب قلبه حب المعصية فألفها قلبه، واستحكمت في نفسه، فكانت سبباً في كرهه للاستقامة، وحبّه للانحراف.
- ٢- بعض الآباء والأمّهات يحاولون صد أبنائهم عن الاستقامة وطلب العلم، ظناً منهم أن ذلك سبب للغلو والتشدد.
- ٣- إن بعضهم يحاول صرف أولاده عن الاستقامة كي لا ينكروا عليه ما يقترب من المنكرات في بيته^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه القضاء إذا كان أرفق له، ج ٢، ص ٦٩٤، ح ١٨٦٧، (مرجع سابق).

(٢) معوقات في طريق استقامة الفتاة المسلمة، أم محمد، أم مجاهد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ، ص ٣٢.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٣٤ - ٣٥.

وعلى ذلك يمكن ذكر بعض آثار الأسرة على الداعية من جانب المتابعة والتشجيع في الآتي:

١- قليل من الأسر في العصر الحاضر جعلوا من بيوهم نواة لتخريج الدعاة من خلال التشجيع والمتابعة للداعية منذ بداية نشأته إلى أن خرج داعية في مجتمعه، فكان أثر تلك المتابعة والتشجيع، أن خرج في مجتمعاتنا اليوم أولئك الدعاة والمربون الذين ساروا على طريق الدعوة.

٢- كثير من الأسر ليس للدعوة اهتمام في نفوسهم، وإنما همهم الأعظم هو تحصيل الدنيا، ولذلك يكون حرصهم من أجلها، وتشجيعهم ومتابعتهم من أجلها، ومثلاً لذلك ما يحصل من كثير من الآباء والأمهات في حرصهم على ذهاب أبنائهم إلى المدارس في الوقت المحدد، بينما لا يرى أولئك الأبناء في صلاة الفجر، وليس بين الأمرين وقت طويل وقد يكون بعض أولئك الآباء من أصحاب المسجد.

٣- وقليل من الأسر لديهم الحرص على أن يكون أبنائهم دعاة صالحين، ولكن بدون متابعة أو تشجيع؛ إما جهلاً من الوالدين أو إفراطاً في الثقة، ولذلك لم يراقبوا مصادر التلقي لأبنائهم ولا من يتخذونه قدوة في حياتهم، فكان الأثر انحراف في الأفكار وهذا له أثر خطير على الدعوة.

* * *

المبحث الثاني

أثر المجتمع المحلي على الداعي في العصر الحاضر

وتحت تهديد ومطلبان:

تهديد في تعريف المجتمع:

- المجتمع في اللغة^(١): (موضع الاجتماع والجماعة من الناس)^(٢).

- المجتمع في الاصطلاح: (هو مجموعة من الأفراد يربط بينها رابط مشترك، يجعلها

تعيش عيشة مشتركة، وتنظم حياتها في علاقات منتظمة معترف بها فيما بينهم)^(٣).

- المجتمع المحلي: يقول محمد كامل البطريق، محمد جمال شديد، في كتابهما تنمية

المجتمع المحلي: (يعرف المجتمع المحلي؛ بأنهم جماعة من الناس يعيشون في مساحة من

الأرض تجعلهم في اتصال مستمر، يُعدُّون للتعاون وللعمل على وحدة المجتمع؛ الذي

يعيشون فيه وعلى تماسكه، ويتميزون بخبرات مشتركة، ونظم اجتماعية معينة تنظم

العلاقات بينهم وكلما نما هذا المجتمع وكبر حجمه ازداد عدد أفراده، وتعددت نظمته

الاجتماعية)^(٤).

بعد بيان أثر الأسرة في العصر الحاضر على الداعي، كونها أهم مكونات البيئة

المحيطة المؤثرة في حياة الداعي، سيكون الحديث في هذا المطلب - بإذن الله - عن أثر

المجتمع على الداعي في العصر الحاضر، وسوف يكون بيان ذلك من خلال المطلبين

الآتين:

المطلب الأول: واقع المجتمع في العصر الحاضر.

(١) سبق تعريفه بشكل أوسع ص ٣.

(٢) المعجم الوسيط، إعداد: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ٢، بدون تاريخ، ج ١، ص ١٣٦، (مرجع سابق).

(٣) المجتمع الإسلامي المعاصر، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط ٥، ١٤٠٠ هـ، ص ٧.

(٤) تنمية المجتمع المحلي دراسة تحليلية، محمد كامل البطريق، محمد جمال شديد، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون رقم

طبعة، ١٩٦٩ م، ص ٢٨.

المطلب الثاني: آثار المجتمع المحلي في العصر الحاضر.

المطلب الأول: واقع المجتمع المعاصر

عند الحديث عن واقع المجتمع في العصر الحاضر فهذا يعني الواقع الفعلي الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية في حياتها المعاصرة، وهذا الواقع قد يختلف عما عليه المجتمع الإسلامي المثالي في القرون المفضلة بسبب البعد عن منهج الله وسيكون الحديث عن هذه المظاهر من خلال الآتي:

أ- إيثار الدنيا على الآخرة.

ب- العصبية والحزبية.

ج- التقليد والتبعية.

أ- إيثار الدنيا على الآخرة:

إن فتن الدنيا المتنوعة والتي وقع فيها كثير من الناس تعتبر سبباً من أسباب ضعف المجتمع الإسلامي في العصر الحاضر، وهذا مصداق لما قاله المصطفى ﷺ من حديث ثوبان، (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها، فقال قائل: أو من قلة يا رسول الله يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل، وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يارسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت)^(١).

وتتنوع فتن الدنيا على الناس، فمنهم من شغل بالنساء فوقع في فتنهن؛ وهن من أخطر الفتن على المجتمعات، قال ﷺ مخبراً عن مجتمع بني إسرائيل، ومخبراً للمسلمين: (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ج ٤، ص ١١١، ح ٤٢٩٧، (مرجع سابق)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الفتن، باب تداعي الأمم، ج ٧، ص ٢٨٧: رواه أحمد والطبراني في الأوسط وبنحوه وإسناد أحمد جيد وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ج ٢، ص ٢٥، ح ٤٢٩٧، (مرجع سابق).

واتقوا النساء، فإن أول فتنه بني إسرائيل كانت في النساء^(١).

وفتن النساء في هذا العصر متنوعة، فتبرح وسفور في بعض المجتمعات الإسلامية، وغزو للبيوت والأماكن العامة عن طريق وسائل الإعلام المتنوعة، فقل أن تجد مكاناً لا تظهر فيه فتنه. بل الأعظم من ذلك مطالبة أصحاب القلوب المريضة بمزيد من الاختلاط والسفور عن طريق مؤتمرات^(٢) تعقد لذلك ودعاوى براءة مزيفة، يقول د. أحمد الزهراني: (وإذا نظرت إلى العرض فقد عقدت المؤتمرات من أجل حرية المرأة، وإخراجها إلى النوادي العامة من غير حشمة ولا وقار، باسم الحرية، والدعوة إلى مساواتها بالرجل. في كل شيء، كما لها الحق في اتخاذ الصديق والخليل، مما نتج عنه الوقوع في الزنا، وكثرة أولاد الزنا، وظهور الأمراض والأوبئة في المجتمع)^(٣). وأما فتنه المال فقد هت وراها كثير من الناس يجمعون المال من أي طريق، وصدق المصطفى ﷺ حيث قال: كما في حيث أبي هريرة رضي الله عنه: (ثم ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام)^(٤).

وفي هذا العصر تنوعت الطرق المحرمة والمشبوهة لكسب المال، فنسأل الله السلامة والعافية.

ومن الفتن التي انتشرت في هذا العصر أيضاً حب الشهرة والظهور والذي يصور لنا رسولنا ﷺ خطره، فعن ابن كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال

(١) مسلم بن الحجاج، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، ج ٤، ص ٢٠٩٨، ح ٢٧٤٢، (مرجع سابق).

(٢) مؤتمر السكان والتنمية الذي عقد في القاهرة ١٩٩٠م، وبكين ١٩٩٥م، انظر مجلة البيان، كمال حبيب، ماذا يريدون من المرأة، محرم ١٤٢١هـ، العدد ١٤٩، ص ٥٨.

(٣) مجلة البيان، د. أحمد بن عبد الله الزهراني، واقع العالم الإسلامي، محرم ١٤٢٣هـ، العدد ١٧٣، ص ١٠٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْذِّبَاتُ فَأْكُلُوا أَكْثَرُ مَا نَزَّلْنَا وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَلًا وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا نَزَّلْنَا لَكُمْ مِنْهُ حَرَامًا﴾، ج ٢، ح ١٩٧٧، (مرجع سابق).

والشرف لدينه^(١).

يقول الفضيل بن عياض -رحمه الله-: (ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى، وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحد بخير)^(٢) ولذلك ظهر في المجتمع الخصومات بين الأقران والأقارب، والحسد عند حصول النعم، وتطاول كثير من الألسن على أهل العلم والصلاح، وتتبع سقطات الناس.

ب-العصية والحزبية:

إن التعصب والتحزب لمذهب أو رأي يخالف من الأمور التي أضعفت بنيان المجتمع الإسلامي، وقد عدها رسولنا ﷺ من مظاهر الجاهلية التي مزقت الناس قبل الإسلام، فمن دعا إليها فكأنما مزق وحدة المسلمين ومجتمعهم، يقول محمد العبد: (ليس هناك أضر على الدعوة الإسلامية المعاصرة من الحزبية المنغلقة الضيقة، إنها داء وبيل يفتك بالأخوة الإسلامية، فيقطع أواصرها ويجعل صفوها كدراً)^(٣). قال ﷺ: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عبية^(٤) الجاهلية، وتعاضمها بآبائها، فالناس رجلان: بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٥)^(٦).

(١) سنن الترمذي، كتاب الشهادات، ج ٤، ص ٥٨٨، ح ٢٣٧٦، (مرجع سابق)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، كتاب الشهادات، ج ٢، ص ٥٥٣، ح ٢٣٧٦، (مرجع سابق).

(٢) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم طبعة، ١٣٩٨، ج ١، ص ١٤٣.

(٣) محمد العبد، مقال الحزبية، مجلة البيان، رجب ١٤١٣هـ، العدد ٥٩، ص ٤٦.

(٤) بضم العين المهملة وكسر هاء وكسر الموحدة وفتح التحتية المشددين أي، نخوتها وكبرها وفخرها. انظر تحفة الأحوذى، محمد المباركفوري، ج ٩، ص ١١٠، (مرجع سابق).

(٥) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٦) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة الحجرات، ج ٥، ص ٣٨٩، ح ٣٢٧٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة الحجرات، ج ٣، ص ٣٣٤، ح ٣٢٧٠، (مرجع سابق).

ثم ماذا استفادت الصحوة من شيوع النزعة الحزبية التي اتسمت بها كثير من الجماعات الإسلامية، حتى أدى الأمر للموالاة والمعاداة بسببها، مما أنشأ صراعاً داخلياً بين الإسلاميين تجاوز الحدود بشكل مأساوي، ولد سوء الظن وتصيد الأخطاء والتحريج بلا مسوغ ﴿وَحَسْبُونَهُ هَيْنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(١) ^(٢).

ج- التقليد والتبعية:

إن واقع كثير من المسلمين في هذا الأمر ينقسم إلى قسمين: قسم اتبع أهل الضلال والبدع والأهواء ممن تسموا بالإسلام، فالقول ما قال شيخه، ولو علم النص الصحيح الصريح. يقول محمد الناصر عن واقع هؤلاء: (في حياتنا المعاصرة، وبعد أن أنعم الله علينا بالإسلام، ترى أن اتباع الهوى والعرف والتقليد، ما يزال يحجب الحق عن عدد كبير من طوائف المسلمين، والغلو بالشيخ أو الزعيم ما زال له دوره، إن هؤلاء يقلدون شيوخهم في الخطأ والصواب من أفعالهم، ويأخذون عنهم كل ما يأمر به، أو يدعون له، ولا يقبلون بهم نقداً أو نصحا)^(٣).

أما القسم الآخر فهم أولئك الذين فتنوا بمسيرة الواقع وتقليد أهل القوى المادية ولو كانوا ضلالاً، وهؤلاء يصدق عليهم قول الرسول ﷺ: (لتبعن سنن الذين من قبلكم شراً بشراً وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا: يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن)^(٤). قال ابن حجر رحمه الله: (قال عياض: الشر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء، مما نهي

(١) سورة النور، جزء من الآية ١٥.

(٢) انظر الافتتاحية، مجلة البيان، شعبان، ١٤١٦هـ، العدد ٩٦، ص ٤١.

(٣) محمد الناصر، مقال: سيطرة العادة وتحكيم الهوى من مقومات الجاهلية، مجلة البيان، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ، العدد ٩، ص ٦٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ج ٤، ص ٢٠٥، ح ٢٦٦٩، (مرجع سابق).

الشرع عنه وذمه^(١).

ومن مظاهر هذه التبعية ما انتشر في بيوت المسلمين من منكرات زينها الإعلام الوافد، وما يحدث من منكرات في قصور الأفراح، وتقليد الشباب للغرب الكافر في الهيئات وثقافت النساء على الموضة والأزياء، وانسلاخ بعضهن عن القيم والعادات على حساب دينهن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وللأسف أن كل هذه المظاهر انتشرت عندما ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في واقع المجتمع، يقول عبدالعزيز جليل: (والفتنة بمسيرة الواقع وما اعتاده الناس كثيرة في زماننا اليوم، لا يسلم منها إلا من رحم الله عز وجل، وجاهد نفسه مجاهدة كبيرة، لأن ضغط الفساد، ومكر المفسدين، وترويض الناس عليه ردياً من الزمن، جعل القابض على دينه اليوم المستعصي على ما يراه الواقع في جهاد مريمع نفسه، ومع الناس، كالقابض على الجمر، ولعل هذا الزمان هو تأويل قول الرسول ﷺ: (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر)^(٢)^(٣).

وإننا لنجد في واقعنا اليوم أمثلة كثيرة على اتباع أهل الكتاب، وعلى اتباع ما يرثه الناس عن آبائهم ولو كان باطلاً، فانظر كيف انتشرت عادة (أعياد الميلاد) في المجتمعات الإسلامية، فتجد الرجل يصلي ويصوم ويلتزم بكثير من قواعد الإسلام، ثم تراه يحتفل بعيد ميلاده، أو ميلاد زوجته، أو ميلاد أحد أولاده^(٤).

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج ١٣١، ص ٣٠١، ح ١٨٨٩، (مرجع سابق).

(٢) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، كتاب الفتن، ج ٤، ص ٥٢٦، ح ٢٢٦٠، (مرجع سابق)، وصححه الألباني وقال: حديث صحيح؛ صحيح سنن الترمذي، كتاب الفتن، ج ٢، ص ٥٠٥، ح ٢٢٦٠، (مرجع سابق).

(٣) عبد العزيز جليل، مقال فتنة مسيرة الواقع مجلة البيان، ذو القعدة ١٤٢٠هـ، العدد ١٤٧، ص ٢٨.

(٤) انظر واقع المسلمين أمراض وعلاج، عدنان على النحوي، دار النحوي، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ، ص ٩١.

المطلب الثاني: أثر المجتمع المحلي على الداعية في العصر الحاضر:

لابد لكل مجتمع بشري أن يكون له آثار على أهل الرأي والإصلاح فيه، تدفع ذوي الرأي والإصلاح لبناء أهدافهم وخططهم لتعالج واقع مجتمعهم الذي يعيشون فيه فيتبعون طريقاً يرون أنها أنفع من غيرها في إصلاح ذلك المجتمع، وقد يتركون أشياء يرون من المصلحة تركها، وواقع المجتمعات الإسلامية اليوم يتعرض فيه الدعاة لأمر كان لها آثار على مسيرتهم الدعوية، إلا أن هذه الآثار تختلف من مجتمع إلى مجتمع بحسب قرب المجتمع وبعده عن منهج الله، ولذلك يمكن أن نذكر بعضاً من الآثار الجلية للمجتمع على الداعية في العصر الحاضر ومنها:

أ- فتور بعض الدعاة بسبب واقع مجتمعاتهم، وإيثارهم العزلة على مخالطة الناس في ذلك المجتمع وضعف القبول بين أفراد المجتمع للدعوة، كما يصور ذلك د. عدنان النحوي فيقول: (ولو نظرنا اليوم في واقع المسلمين في كثير من ديارهم نجد أن المسجد منعزل عن واقع الحياة، فقد يخرج المسلم بعد صلاته أو بعد سماعه للخطبة والموعظة فإذا هو في عالم جديد ينسيه ما قد سمع أو علم، فتطوى النصيحة وتضيع الموعظة إلا عند من رحم الله^(١)). وقد يتذرع أولئك الدعاة أيضاً بفساد الزمان، وتكالب أعداء الأمة من الداخل^(٢) والخارج، وتنازع الجماعات الإسلامية، فينزّلون أحاديث العزلة والفتن على واقعهم^(٣)، وللأسف إن هذه آثار نفسية خاطئة يقع فيها بعض الدعاة، يقول أحمد العميرة عند ذكره لأسباب القعود عن الدعوة منها: (قراءة الواقع قراءة سلبية تؤدي بالداعية للإحباط واليأس، فيترك طريق الدعوة)^(٤)، ويقول عبد الله ناصح

(١) المرجع السابق، ص ٨٦.

(٢) المراد المنافقون.

(٣) مثل حديث: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبعها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب من الدين الفرار من الفتن، ج ١، ص ١٥، ح ١٩، (مرجع سابق)، وغيره من أحاديث الفتن.

(٤) أحمد العميرة، مقال: من أسباب تساقط الشباب، مجلة البيان، ذو القعدة ١٤٢٠هـ، العدد ١٤٧، ص ٣٨.

علوان - رحمه الله -: (ومن المؤثرات النفسية التي يواجهها الدعاة، ويستشعرون بها، ويجدون الكثير ممن يحسبون على الإسلام يتشدقون بها، ويرفعون لواءها، المؤثر التيثيسي الانعزالي الذي يقعدهم عن مسؤولية الدعوة، ويثبطهم عن فرضية الجهاد، ويدفعهم إلى عزلة المجتمع، والركون إلى الاسترخاء والانطوائية، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا^(١)، ثم بين أيضاً رحمه الله أن الدوافع التي تدفع أولئك تتلخص في ثلاثة أمور رئيسة، هي تكالب الأعداء على الإسلام، وتناحر الجماعات الإسلامية، والاحتجاج بالنصوص التي تدعو إلى العزلة^(٢)).

ب- ومن آثار المجتمع المحلي على الداعية في العصر الحاضر مسيطرة بعض الدعاة لواقع مجتمعاتهم، والوقوع في بعض شهوات الدنيا المنتشرة في ذلك المجتمع، فبسبب قلة الأنصار، وطول طريق الدعوة، وقلة العلم المعين على الثبات. قد يكون الداعية أسيراً لواقع مجتمعه، يقول **فصل البعداني**: (يرغب بعض الدعاة في أن يكون ابن بيته كما يقولون، فيرى، أنه لا بد له من الظهور بالمظهر اللائق به؛ مطعماً ومشرباً ومركباً ومسكناً وخداماً وترفيهاً، فيضطر لكي يصل إلى ذلك الهدف؛ إلى تقليد المترفين في بيته ممن لا خلاق لهم مباهاة وتفاهراً، وحباً في مساواتهم في أحوالهم ومعاشهم، إن لم يصل به الأمر إلى حد الرغبة في التفوق عليهم وتجاوز ما هم فيه من ترف. وهذا مرض داخلي يوجد لدى بعض الدعاة، وقد يكون الأمر على العكس من ذلك، فلا يوجد لدى ذلك الداعية رغبة ذاتية في الترف، لكن أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه من أقارب وأصحاب ممن رفعوا شأن زخرف الحياة وصارت شهوات الدنيا وملذاتها في نظرهم قيمة يقاس الإنسان بها، فبمقدار ضخامة منزل الشخص، وكثرة خدمه، وعدد مراكبه، وبذخه في مأكله ومشربه وملبسه؛ تكون مكانته ومنزلته يدفعونه إلى ذلك

(١) عقبات في طريق الدعوة، د. عبد الله ناصح علوان، دار السلام، مصر، ط ٣، ١٤١٢هـ - ج ١، ص ٢٢٢، (مرجع سابق).

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٢٣.

دفعاً من خلال المطالبة بإلحاح شديد من قبل الأهل والأقارب بتوفير وسائل الترف، أو من خلال النقد الجارح، واللوم اللاذع من الأصحاب، على ما يسمونه بجرمان النفس من خيرات الله تعالى، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى، بل إن المطالبة واللوم قد يصحبهما سوق العديد من المبررات التي يجدها الداعية تحت ضغط الواقع الشديد مقنعة نوعاً ما، فتتغير نظرتة شيئاً فشيئاً إلى أن تتغير قناعاته السابقة، فتتبدل حاله ويصبح في غالب أمره كسائر أفراد مجتمعه^(١).

ج- ومن آثار المجتمع على الداعية في العصر الحاضر ضعفه في الدعوة أو تخليه عنها فحين يرى هؤلاء المحيطين بالداعية ما يحصل للدعاة من ابتلاء فإنهم يثرونه عن طريق الدعوة بدافع العاطفة أو الخوف والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَصُّوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢)، يقول عبد الله علوان - رحمه الله - عن هذه الآية: (فمفهوم النص في الآية أن الثبات أمام ضغط القرابة والصمود أمام إغراءات المال والمسكن، والاندفاع الاعتقادي والنفسي على حب الله والرسول، والجهاد في سبيل الله... هو من مقتضيات الإيمان، وأسس الإسلام... فبدونها لا يكون المسلم - وعلى الأخص الداعية - مؤمناً بحق، ومسلماً بصدق مهما تبجح بالإيمان، وتشدق بالإسلام)^(٣).

د- ومن آثار المجتمع المحلي على الداعية في العصر الحاضر وجود عائق السخرية والأذى، وعائق الاستهزاء والأذى قائم في كل زمان ومكان، ولو سلم منها أحد لسلم

(١) فيصل البعداني، مقال الترف وخطره على الدعوة والدعاة مجلة البيان، رمضان ١٤١٥هـ، العدد ٨٥، ص ٨.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٤.

(٣) عقبات في طريق الدعاة، عبد الله بن ناصح علوان، ج ١، ص ٢٧٠، (مرجع سابق).

منها إمام الدعاة محمد ﷺ قال تعالى عن أولئك المستهزئين: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(١) وفي واقعنا الحاضر تنوعت وسائل السخرية والأذى بالدعاة. في عدد من المجتمعات الإسلامية. يقول د. عمر النمري في معرض حديثه عما تتعرض له الدعوة والدعاة في المجتمع التونسي أيضاً من الإعلام الوافد، حيث تعرض الأفلام الإباحية، ومن ذلك مثلاً؛ عرض فيلم بدت فيه أجساد النساء عاريات، وعُرض فيه مؤدب القرآن الكريم في مشهد يدعو إلى السخرية والاستهزاء^(٢).

أما أذى المجتمعات للدعاة في بعض البيئات الإسلامية، فكان من آثاره التخلي عن الدعوة أو ضعف القيام بها، ففي إيران مثلاً نجد أن الاضطهاد الخفي على كثير من المسلمين يضيق على عشرين مليون سني تقريباً^(٣).

يقول الشيخ علي أكبر سربازي: (وفي داخل إيران بدؤوا بتدمير وقتل وإبادة المسلمين السنة في جميع المدن الرئيسية، حتى إنهم كانوا يقتلون الآلاف في اليوم الواحد، ثم ضيقوا الحياة على المسلمين السنة بشق الوسائل من المطاردة والقتل والتشريد، وبخاصة قتل العلماء والدعاة، مما أدى إلى تشيع عدد كبير من السنة)^(٤).

هـ- ومن آثار المجتمع المحلي في العصر الحاضر على الداعية اقتباسه للفكر السائد في مجتمعه مهما كان ذلك الفكر، فكما أن الوالدين لهما جهد كبير في عقيدة ولدهما وفكره كما أخبر النبي ﷺ^(٥) فالداعية قد يتبنى فكر تلك الجماعة المؤثرة في مجتمعه ولو كان لديها خلل في عقيدتها، أو تعصب لمنهجها، يقول جمال شقदार: (وترى مهمة الفرد

(١) سورة الحجر، الآية ٩٥.

(٢) انظر: مجلة البيان، د. عمر النمري، ذو الحجة ١٤٢١هـ، العدد ١٦٠، ص ١٢٩.

(٣) انظر حوار مع الشيخ علي أكبر سربازي، المتحدث الرسمي لجمعية الدفاع عن حقوق أهل السنة في إيران، مجلة البيان، محرم ١٤١٨هـ، العدد ١١٣، ص ٧٨.

(٤) المرجع السابق.

(٥) كما في قوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) انظر تخريج الحديث

في هذه الجماعات في سنى حياته (الدعوية) على زيادة أتباع فرقته والذود عن حمى رموز الجماعة، فيضيق مفهوم الولاء والبراء، حتى يصل إلى قناعة "من لم يكن معي فهو ضدي"، وتكون قاصمة الظهر؛ ضيقاً في الأفق، وفرزاً للناس، وتصنيفاً للعاملين في مسار الدعوة للتعامل معهم بمقتضى هذا التصنيف سلباً أو إيجاباً^(١).

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل اتباع الأئمة والمشايخ، فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم المعيار، فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم)^(٢).

المبحث الثالث

معوقات البيئة المحيطة على الداعية في العصر الحاضر

وتحته مطالب:

إن المعوقات التي تعترض دعوة الأسرة والمجتمع المحلي كثيرة ومتنوعة، ويختلف تأثيرها من مجتمع إلى آخر، ولذا سوف أذكر أهم معوقات الدعوة في البيئة الاجتماعية في ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: عائق الجهل.

المطلب الثاني: عائق الإعلام الوافد.

المطلب الثالث: عائق المخالطة.

المطلب الأول: عائق الجهل:

إن الجهل داء خطير على الفرد وعلى المجتمع، فبسبب الجهل يعبد غير الله وترتكب

(١) جمال شقدار، مقال ظواهر الغربة في الصحوة المعاصرة، مجلة البيان، ذو الحجة ١٤١٧هـ، العدد ١١٢، ص ٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ج ٢٠، ص ٨، (مرجع سابق).

البدع وتكثر المعاصي، فهو يعيق الدعوة عن إيصال نور التوحيد وطرده ظلمة الشرك، ويعيقها عن قمع البدعة وتعبيد الناس لله، والجهل يدخل فيه كل من عصى الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ^(١) قال الطبري - رحمه الله -: (قوله يعملون السوء بجهالة، قيل فيهم: يعملون السوء بجهالة؛ وإن أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب الله أهله، عامدين إتيانه، مع معرفتهم بأنه عليهم حرام، لأن فعلهم ذلك من الأفعال التي لا تأتي إلا من جهل عظيم بعقاب الله عليه في الدنيا، والآخرة، فقل لمن أتاه وهو به عالم، أتاه بجهالة بمعنى: أنه فعل فعل الجاهل به، لا أنه كان جاهلاً) ^(٢).

فمن أعظم أسباب ظهور الشوكيات والبدع والمعاصي في بيئات المسلمين انتشار الجهل في تلك البيئات، إما جهلاً بمراد الله فيما خالفوه فيه، أو جهل بعظمته حين عصوه يقول ابن القيم رحمه الله: (وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل، وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمية بالحق قائمين ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين) ^(٣).

قلت: هذا في زمن ابن القيم رحمه الله فكيف بزماننا الذي تضاعف فيه السبلاء،

(١) سورة النساء، الآية ١٧.

(٢) تفسير الطبري، ج ٤، ص ٣٠٠، (مرجع سابق).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ج ٣، ص ٥٠٧، (مرجع سابق).

وانتشر الجهل بسبب انصراف الناس عن العلم الشرعي، وقلة العلماء الذين يحضون ذلك الجهل، ولذا فإن الاستجابة لدعوة الحق وإصلاح البيئات يزداد صعوبة تُقدَّر بما تحمله تلك البيئات من الجهل الذي هو طريق إبليس في إغواء أفراد تلك البيئات، يقول ابن الجوزي رحمه الله: (الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل إلا مسارقة)^(١).

وقال القرافي - رحمه الله -: (أصل كل فساد في الدنيا والآخرة إنما هو الجهل، فاجتهد في إزالته عنك ما استطعت، كما أن أصل كل خير في الدنيا والآخرة إنما هو العلم؛ فاجتهد في تحصيله ما استطعت، والله تعالى هو المعين على الخير كله)^(٢).

ويكثر الجهل كلما امتد الزمان، وذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (يُقبض العلم ويظهر الجهل والفتن)^(٣).

فإذا انتشر الجهل وانحسر العلم حُجب نور الدعوة عن العباد، يقول الغزالي رحمه الله: (إذا ألحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل، والوسيلة المقربة إليه هي العلم والمعرفة، وقربه بقدر معرفته، وبعده بقدر جهله)^(٤).

المطلب الثاني: عائق الإعلام الوافد:

إن وسائل الإعلام بقدر ما تقدم للناس من فوائد في جوانب متعددة، منها الجانب الدعوي، والعلمي وغير ذلك، إلا أنها تنقل لهم مفاهيم وعادات وافده، يقول د. إبراهيم الدعيلج: (لم يعد ينظر إلى الإعلام على أنه يزود أفراد المجتمع بالأخبار

(١) تلبس إبليس، عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص ١٦٥، تحقيق السيد الجميلي.

(٢) الفروق، شهاب الدين أبو العباس القرافي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٤، ج ٤، ص ٢٦٥، حققه عمر حسن.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أحاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، ج ١، ص ٤٤، ح ٨٥، (مرجع سابق).

(٤) إحياء علوم الدين، محمد أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، ح ٤، ص ٢٠.

والمعلومات والأحداث الراهنة فحسب، بل يمتد إلى كافة مجالات الحياة التي تهم أبناء المجتمع، وإكسابهم مفاهيم جديدة، وإحلال مفاهيم مكان أخرى^(١).

إلا أن لكثير مما ينقله الاعلام جوانب معيقة للدعوة، من خلال ما يحمله من مبادئ هدم لما ينادي به الدعاة والمصلحون في البيئات الاجتماعية، يقول محمد أحمد إسماعيل: (إن التلفزيون وتوابعه قد يكون مدرسة للإجرام، فمن خلال برامجه التي تخدم أهدافاً خبيثة محددة صار مدرسة تربي، وأستاذاً غير أمين يدفع بالأجيال إلى الجريمة والفساد، فيُشيعُ الفاحشة، وينفث روح الجريمة، ويقلب القيم رأساً على عقب، ويدرب الصغار على الجريمة والانحراف، وينشئ الأبناء على قبول انحراف والتعايش معه، والانخراط في سلك أهله، فيمتصون هذه المفاهيم، ويستحلون هذه القيم؛ يُعَلِّمُهُم أن اللصوصية بطولة، والغدر كياسة، والخيانة فطانة، والعنف هو أقصر الطرق لتحقيق المآرب، وعقوق الآباء تحرر، وبر الوالدين ذل، وطاعة الزوج رق واستعباد، والنشوز حق، والعفة كبت، والديانة فن راق رفيع)^(٢).

ويمتد خطر الإعلام الوافد على العقائد والأخلاق، فمن تلك الأخطار خلخلة العقيدة الصحيحة للمسلم؛ بنشر شبه تجعل كثيراً من أفراد البيئات الإسلامية في حيرة وإضعاف عقيدة الولاء والبراء، وتقليد النصارى في عقيدتهم، وإظهار بلاد الكفر على أنها بلاد الحرية، ولذا صار الإعلام عائقاً في تحقيق العقيدة الصحيحة، يقول د. ناصر العمر: (ومن أخطر الآثار العقدية الدعوة إلى النصرانية عبر البث، وقرأ هذه الأخبار لتعرف الحقيقة: يستعد الفاتيكان لبناء محطة تلفزيونية كبيرة، للبث في كافة أنحاء العالم للتبشير بتعاليم الإنجيل بواسطة ثلاثة أقمار صناعية تسمى بمشروع (نومين) (٢٠٠٠)،

(١) البث المباشر الآثار والمواجهة تربوياً وإعلامياً، د. إبراهيم الدعليج، دار القبة، مكة، ط ١، ١٤١٥هـ، ص ٧٩.

(٢) محمد بن أحمد إسماعيل، مقال: ماذا تعرف عن العجل القضي مجلة البيان، رجب ١٤٢٠هـ، العدد ١٤٣، ص ٧٠.

مع العلم أن القمر الواحد يغطي ثلث مساحة الكرة الأرضية^(١). ومن عوائق الإعلام على الأخلاق؛ القضاء على الحياء وفساد الأخلاق، يقول د. إبراهيم الدجيلج: (يتخلل الأفلام والمسلسلات والأغاني كثير من المتناقضات والسلبيات، كالمشاهد الغرامية، والحوار بين البطل والبطله غير اللائق خلقياً، مما يسئ إلى أخلاق الطفل وتربيته الإسلامية وأيضاً مشاهد العنف والعدوان وما قد تحدثه من الانحراف والوقوع في الجريمة نتيجة تأثر الأطفال بمشاهد العنف والعدوان وممارسته)^(٢).

المطلب الثالث: عائق المخالطة السيئة^(٣):

المراد بعائق المخالطة السيئة في هذا المطلب؛ هو أثر أهل المعاصي والانحراف على من يخالطوهم من أفراد البيئة الاجتماعية وصددهم عن الدين والدعوة إليه، ولذا حذر ربنا سبحانه وتعالى من مخالطة كل فئة، أو فرد له أثر معيق على دين العبد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ۝﴾^(٥)، وقال تعالى على لسان من وقع في الضلال: ﴿يَنوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝﴾^(٦)، والأحاديث في ذلك كثيرة منها قوله ﷺ: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)^(٧).

(١) البث المباشر حقائق وأرقام، د. ناصر العمر، ص ٥٤، (مرجع سابق).

(٢) البث المباشر الآثار والمواجهة تربوياً وإعلامياً، د. إبراهيم الدجيلج، ص ١٠٧، (مرجع سابق).

(٣) من خلط الشيء بغیره، والخلیط المخالط كندم المنادم والجلس المجلس، والخلطة بالضم الشركة وبالكسر العشرة، انظر مختار الصحاح، ج ١، ص ٧٧، مادة (خلط)، (مرجع سابق).

(٤) سورة الأنعام، الآية ٦٨.

(٥) سورة الكهف، جزء من الآية ٢٨.

(٦) سورة الفرقان، الآية ٢٨.

(٧) سنن الترمذي، ح ٢٣٧٨، سبق تفريجه ص ٢١ من البحث.

وحقيقة عائق الخلطاء أو الجلوس من أهل السوء، أنهم يزينون ما يدعون إليه من الهوى، أو حب الانفلات عن أوامر الشريعة، ويعينهم في ذلك إعجاب من المتلقي انحراف به عن نصوص الوحي والعقل السليم في نفسه، وهذا وإن كان يقع في جميع مراحل العمر إلا أنه جلي في طبقة الشباب والمراهقين، يقول د. عبد العزيز النغمشي في حديثه عن طبقة الأقران: (إنهم يمدونه بزيادة نفسية لا يقدمه له الكبار أو الأطفال... وهذا تعد طبقة الأقران أحد المصادر المهمة والمفضلة عند المراهقين، للاقتداء واستقاء الآراء، والأفكار، وتعد هي الأكثر تقبلاً من بين سائر طبقات المجتمع)^(١). خصوصاً إذا قابلت تلك الآراء نفساً ضعيفة من المدعويين، فإن أثرها أكبر، يقول عبدالرؤوف المناوي - رحمه الله -: (وجليس السوء ييدي والنفس أمانة بالسوء فإن ملت إليه شاركك، وإن كففت عنه نفسك شغلك)^(٢).

وفي دراسة للنغمشي عام ١٤١٥هـ على عينة من (١٥٦٠) طالباً وطالبة في المدارس الثانوية في مدينة الرياض؛ اتضح أن المراهقين في عمر (١٦-١٧-١٨) سنة يعزفون عن استشارة أساتذتهم والاسترشاد بهم.. وهذا يشير إلى الاستقلالية التي يطمح إليها المراهقون من وجه، وإلى الغربة والجفوة التي يعيشها المراهقون وسط المجتمع، بسبب منهم ومن ذويهم ومدرسيهم من وجه آخر)^(٣).

وتأثير قرن السوء على المنحرفين في البيئة الاجتماعية دليل على أنهم معيقون عن الدعوة والهداية، ففي دراسة أجراها محمد بن ناصر الثامري عام ١٤٠٩هـ على دار الملاحظة في مدينة الرياض: (ظهر أن الأحداث قد ارتكبوا أفعالهم الانحرافية بمشاركة الآخرين، كما دلت الدراسة على وجود علاقة بين جماعة الرفاق والانحراف

(١) المراهقون، د. عبد العزيز النغمشي، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ص ٦٤.

(٢) فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ج٦، ص ٣٧٢، (مرجع سابق).

(٣) المراهقون، د. عبد العزيز النغمشي، ص ٦٧، (مرجع سابق).

الأحداث^(١).

وفي دراسة فهد المطلق على دار الملاحظة في القصيم، كانت النتيجة أن نسبة (٧٣%) من الأحداث قد ارتكبوا أفعالهم الانحرافية بمشاركة آخرين^(٢)؛ ولذا يُعد عائق الأقران والمخالطة السيئة سبب في رد كثير من المفاهيم الأخلاقية السليمة، وإبدالها بما يخالفها من سيئ الأخلاق، يقول محمد بن راشد القحطاني في دراسة أجراها عام ١٤١٤هـ كان من نتائجها: (أن أبرز مصادر الثقافة الانحرافية لدى الأحداث المنحرفين هم الأصدقاء)^(٣).

المبحث الرابع

سبل علاج عوائق الدعوة في البيئة المحيطة

ونتمه مطلب:

بعد أن بينت أهم العوائق للداعية في البيئة المحيطة في المبحث الأول، سوف أشرع - بإذن الله - في بيان علاج تلك العوائق، وسوف يكون الحديث عن العلاج في ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: علاج عائق الجهل.

المطلب الثاني: علاج عائق الإعلام الوافد.

المطلب الثالث: علاج عائق المخالطة السيئة.

(١) دراسة وصفية على الأحداث المنحرفين بدار الملاحظة بالرياض، فهد بن ناصر الثامري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٩هـ.

(٢) دراسة ميدانية اجتماعية للأحداث الجانحين بدار الملاحظة بالقصيم، فهد المطلق رسالة ماجستير غير منشورة، المركز العربي للدراسات الأمنية، الرياض، ١٤٠٩هـ، ص ١٢٢.

(٣) انتقال الثقافة الانحرافية بين الأحداث، محمد بن راشد القحطاني رسالة ماجستير غير منشورة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ١٤١٤هـ.

المطلب الأول: علاج عائق الجهل:

إن علاج الجهل الذي وقع فيه كثير من أفراد البيئة الاجتماعية، سواءً على مستوى أفراد الأسرة أو أفراد المجتمع، يكون بإزالة أسبابه، ثم إبداله بالعلم؛ الذي هو ضد الجهل، فالبعد عن الجهل، والتزود بالعلم الذي جاءت الشريعة الإسلامية المطهرة من خلال الحث عليه والترغيب فيه، وذنم من أعرض عن تعلم ما كان من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)، قال القرطبي -رحمه الله- في قوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (أي: الثواب في الآخرة والكرامة في الدنيا ويرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم)، وقال ابن حجر رحمه الله: (قيل في تفسيرها يرفع الله المؤمن العالم على غير العالم. ورفعته الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب؛ وبها الجنة)^(٣). قال تعالى حاثاً نبيه ﷺ على الزيادة من العلم: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٤)، قال القرطبي رحمه الله: (لو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه، كما أمره أن يستزيده من العلم)^(٥).

وقال ابن حجر رحمه الله (قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٦) واضح الدلالة في فضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم)^(٧).

(١) سورة الزمر، جزء من الآية ٩.

(٢) سورة المجادلة، جزء من الآية ١١.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل العلم، ج ١، ص ١٤١ (مرجع سابق).

(٤) سورة طه، جزء من الآية ١١٤.

(٥) تفسير القرطبي، ج ٤، ص ٤١، (مرجع سابق).

(٦) سورة طه، جزء من الآية ١١٤. كتاب العلم.

(٧) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر، كتاب العلم، باب فضل العلم، ج ١، ص ١٤١ (مرجع سابق).

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)^(١). وقال النووي رحمه الله: (فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله)^(٢). ولذا بوب البخاري في صحيحه فقال: (باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣)، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)^(٤)، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَمَا يَعْزِلُهَا إِلَّا الْعِلْمُونَ﴾^(٦)، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٧)، وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٨)، وقال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)^(٩)، كما في حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. والعلم المقصود في هذه الآيات والأحاديث؛ هو العلم الشرعي، قال ابن حجر رحمه الله بعد حديثه عن فضل العلم: (والمراد بالعلم؛ العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه، في

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ج ١، ص ٣٩، ح ٧١، (مرجع سابق).

(٢) شرح النووي صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ج ٧، ص ١٢٨، (مرجع سابق).

(٣) سورة محمد، جزء من الآية ١٩.

(٤) ذكره البخاري تعليقاً، وذكره الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ج ٥، ص ٤٨، ح ٢٦٨٢، (مرجع سابق)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ج ٣، ص ٧١، ح ٢٦٨٢، (مرجع سابق).

(٥) سورة فاطر، جزء من الآية ٢٨.

(٦) سورة العنكبوت، جزء من الآية ٤٣.

(٧) سورة الملك، جزء من الآية ١٠.

(٨) سورة الزمر، جزء من الآية ٩.

(٩) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ج ١، ص ٣٧، (مرجع سابق).

عبادته، ومعاملاته، والعلم بالله، وصفاته وما يجب له القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه^(١).

وبعد بيان أهمية العلم من الكتاب، والسنة وكلام السلف الصالح، يمكن نشر العلم من خلال الأمور التالية:

أولاً: نشر العلم الشرعي الصحيح بين المسلمين بجميع طبقاتهم بحسب ما تحتاجه كل بيئة خصوصاً ما كان تعلّمه من الدين بالضرورة.

ثانياً: ضرورة وجود المناهج الإسلامية في جميع مراحل التعلم بحسب ما يناسب كل مرحلة في جميع البيئات الإسلامية.

ثالثاً: نشر الدروس العلمية لكبار العلماء، وطلاب العلم في كل بيئة اجتماعية من خلال الدروس والمحاضرات، والدورات العلمية، ووسائل الدعوة المتنوعة.

رابعاً: نشر وسائل الدعوة المتنوعة، والاستفادة من جميع وسائل التقنية الحديثة في إيصال العلم الشرعي. ومجاهدة الجهل وأهله والرد على الشبه والانحرافات.

المطلب الثاني: علاج عائق الإعلام الوافد:

إن علاج عائق الإعلام الوافد يكمن في الوقوف في وجه هذا الزحف الإعلامي الذي اقتحم منازل المسلمين، ودخل إلى أخص خصوصيتهم بعدة أمور منها:

١- على المربين داخل الأسرة أن يستشعروا الأمانة والمسؤولية التي حملهم الله إياها، وذلك بحماية أسرهم من تلك القنوات التي حملت إلى أفراد الأسرة المسلمة غثاء الإعلام الوافد من شبهات وشهوات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورٌ أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(٢)، وعن عبد

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج ١، ص ١٤١، (مرجع سابق).

(٢) سورة التحريم، الآية ٦.

الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمر الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على بيت بعلمها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده ومسؤول عنه، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(١).

٢- مراقبة الله وتعظيمه في نفوس أفراد البيئة الاجتماعية، من خلال جهود العلماء وطلاب العلم والوعاظ والمصلحين، لأن الخوف من مقام الله وتعظيمه أعظم أسباب العلاج لما للإعلام الوافد من شبه وشهوات، قال تعالى مذكراً عباده بالخوف منه: ﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوهُ يَعْزِمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦) ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢٧)، ويقول تعالى عن نفسه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨)، ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٢٩)، ويقول ذاماً من عصاه: ﴿وَمَا

(١) سبق تخريجه، ص ٢٦٠.

(٢) سورة آل عمران، الآيات ٢٩-٣٠.

(٣) سورة، المجادلة، الآية ٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجَعَّلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾

٣- إيجاد الوسائل النافعة البديلة، وتسخير وسائل الإعلام فيما ينفع أفراد البيئة الاجتماعية ويردُّ شبه أهل الباطل وشهواتهم من خلال تلك الوسائل الإعلامية، وذلك بتعاون أهل المال والإعلام في زيادة عدد القنوات الإسلامية التي تحمل هم الأمة وتدافع عنها ضد ما يخالف تعاليم دينها، يقول د. إبراهيم الحيدري: (لقد آن الوقت لنفكر في إنشاء قناة فضائية يتجسد فيها عمل إسلامي دعوي يقف وجهاً لوجه أمام قنوات دعاة الإلحاد وهواة الجسد، واللاهئين وراء الأموال ومع عظم هذا العمل وضخامته إلا أنه ليس مستحيلاً^(١)). وكذلك زيادة إذاعات القرآن الكريم في المجتمعات الإسلامية، والبرامج الدينية في وسائل الإعلام، ومساحات الصحف الهادفة، ومواقع الشبكة العنكبوتية التي تنشر الدعوة والخير، يقول د. محي الدين عبد الحلیم: (في رأيي أن مفتاح الحل في إيجاد عمل إعلامي إسلامي متميز وقوي، هو وجوب ارتباط وسائل الإعلام بمرجعة منظمة تراعي ثوابت أمتنا الإسلامية ولا تتعدها، وتتحرك في المتغيرات وفق الضوابط الاستراتيجية التي تخدم مصلحة الشعوب الإسلامية)^(٢).

٤- الرد الآني على ما تبثه وسائل الإعلام والتقنية الوافدة من شهوات وشبهات من خلال منابر البيئات الاجتماعية، يقول حمدي حسن: (اعتقد أن تجربة الربع الأخير من هذا القرن أثبتت أن المنبر الخشبي هو الذي استطاع أن يقف أمام رسالة

(١) سورة الأنعام، الآية ٩١.

(٢) د. إبراهيم الحيدري، مقال: حلم فهل أنت فارسه، شعبان، مجلة البيان، ١٤١٩هـ، العدد ١٣٢، ص ١٣٥.

(٣) إعداد وائل عبد الغني، ندوة عن الغزو الفضائي أبعاده - آثاره - طرق النجاة، مجلة البيان، جمادى الأولى

١٤٢٠هـ العدد ١٤١، ص ٣٦.

الإعلام^(١). وكذلك من خلال دروس العلماء، وكلمات المصلحين وأقلام الغيورين على دين الإسلام، والقائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل بحسب ما أعطاه الله من علم أو مال، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مِشْرَبَهُمْ﴾^(٢) متصفين بصفة أهل الإيمان قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣) وهم بذلك يجنبون مجتمعاتهم أسباب العذاب قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾^(٤).

٥- تعاون المؤسسات الاجتماعية والإعلامية في البيئات الاجتماعية الإسلامية على إخراج نتائج ضرر الإعلام الوافد على أفراد تلك البيئات صغاراً وكباراً من أجل الوصول إلى حلول لهذا العائق الخطير.

المطلب الثالث: سبل علاج عائق المخالطة السيئة:

إن علاج هذا العائق تتحمل الأسرة الجزء الأكبر منه باعتبارها الرقيب الأول على أولادها، وتحمل دور المتابعة في بداية حياتهم، ثم يأتي دور المجتمع بجميع مؤسساته في علاج ذلك العائق، ويمكن إجمال ذلك في النقاط التالية:

١- التوكل على الله والدعاء، وهذا من أعظم وسائل العلاج، والوقاية من رفقة السوء قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

(١) المرجع السابق .

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية ٦٠.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٤) سورة هود، الآية ١١٧.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾

٢- على المصلحين في البيئات الإسلامية تجلية خطر رفقاء السوء على أفراد المجتمع صغاراً وكباراً مثلما حذرنا الله منهم فقال: ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ (١)، وقال تعالى على لسان النادم: ﴿ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣). وقال رسول الله ﷺ: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) (٤).

٣- على المربين داخل الأسرة اختيار الرفقة الصالحة لأبنائهم، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. أما المباشرة؛ فمن خلال التوجيه باتخاذ رفقة معينة والابتعاد عن رفقة معينة أخرى، وغير مباشرة؛ من خلال الاختيار الانتقائي للأسر الصالحة في نفسها المهتمة بأبنائهم، والسعي للتواصل معهم بشكل مستمر.

٤- متابعة الأسرة لأبنائهم والقائمين على التربية في المجتمع، فعلى الأسرة أن تسعى لمعرفة رفقاء أولادهم سواء كان ذلك على مستوى الأقارب، أو الشارع، أو المدرسة، أو الأنشطة الأخرى، ومن ثم يوضحون لهم خطورة رفقاء السوء ويكشفون لهم خطرهم.

(١) سورة النمل، الآية ٦٢.

(٢) سورة الكهف، جزء من الآية ٢٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية ٢٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٦٨.

(٥) سنن الترمذي، ح ٢٣٧٨، سبق تخريجه ص ٢١.

الخاتمة

الحمد لله على تقديره، وحسن ما صرف من أموره، الحمد لله على صنعه شكراً على إعطائه ومنعه، وأصلي وأسلم على سيد الأنام وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.. أما بعد:

فقد انتهت بفضل الله ومنه في هذا البحث المختصر إلى بيان آثار البيئة المحيطة على الداعية، ويطيب لي هنا أن أذكر أهم النتائج من هذه الدراسة الدعوية:
أولاً: أهم النتائج:

- ١- إن مكونات البيئة المحيطة من أسرة ومجتمع هي الميدان الأول لدعوة الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم.
- ٢- إن صلاح البيئات المحيطة له آثار معينة على الداعية .
- ٣- إن وسائل وأساليب الدعوة تختلف باختلاف حالات البيئة .
- ٤- إن أعظم نزاع وقع بين الأنبياء عليهم السلام وبين بيئاتهم المحيطة كان بسبب توحيد الألوهية
- ٥- تأثر المدعوين داخل الأسرة، أو المجتمع بالوسط الذي يعيشون فيه، وظهور ذلك في مدى قبولهم للداعية.
- ٦- انتشار الجهل بين أفراد البيئات الإسلامية، من أعظم أسباب بُعد تلك البيئات عن تعاليم الدين.
- ٧- قوة تأثير الإعلام الوافد في العصر الحاضر على أفراد البيئات الإسلامية وانتشار كثير من الشهوات، والشبهات بسبب هذا التأثير.
- ٨- بروز ظاهرة الفرق والاختلاف في العصر الحاضر بين أفراد البيئة المحيطة خصوصاً بين كثير من العاملين في مجال الدعوة.
